﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النّساء: 101]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين التّحفيز على الهجرة، وبين التّرخيص بالقصر حالة الخوف

لَمَّا حَثَّ اللّٰهُ تعالى على الجهادِ، وكان محتاجًا إلى السَّفَرِ في كثيرٍ مِنَ الأحايين، وأوجَبَ سبحانَهُ السَّفَرَ لأجلِ الهِجْرَةِ؛ تَركًا لبلاد الكُفْرِ إلى بلاد الإسلام، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾، وبيَّنَ فضلَ هذا السَّفرِ في قوله تعالى: ﴿*وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، لَمَّا كان الأمر كذلكَ، وكان مُطْلَقُ السَّفرِ مَظِنَّةَ المشقَّةِ، فكيفَ بسفرِ الجهادِ والهجرةِ، مع ما انضمَّ إلى المشَقَّة فيهما مِن خوفِ الأعداء؛ ذَكَرَ اللّٰه تعالى تخفيفَ الصَّلاةِ بالقَصْرِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ضَرَبْتُمْ﴾: يقال: (ضرب فلان في الأرض)، إذا خرج فيها تاجرا أو غازيا ضربا وضربانا[2]، والضَّادُ والرَّاءُ والباءُ تدور تصاريفُها على غِلَظٍ يُخَالِطُ الشَّيءَ الرِّخوَ أو يُداخِلُه، مداخلةً قويَّةً، فيتَمَاسَكُ أو يَشْتَدُّ، وَمِنْهُ: ضَرْبُ الدَّرَاهِمِ؛ فإنَّ ذلك يحصُلُ بتَجميد الفِضَّة الذَّائبة في قالَب على هيئتِه، ومِنْهُ أيضًا: الضَّرْبُ في الأرض؛ وهو الذَّهاب فيها؛ كأنَّ الضَّاربَ في الأرض يُداخِلُها حتَّى يَغُوصَ فِيهَا[3]، والضَّربُ في الأرضِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/377.
(2) ابن سيده: المخصّص: 3/304.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ضرب).

﴿ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هو الذَّهابُ فيها بِالسَّفَرِ[1]، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْإِسْرَاعَ إِلَى السَّيْرِ أَيْضًا ضَرْبٌ. قَالَ الشّاعر:

فَإِنَّ الَّذِي كُنْتُمْ تَحْذَرُو *** نَ أَتَتْنَا عُيُونٌ بِهِ تَضْرِبُ[2]

2) ﴿جُنَاحٌ﴾: الجُنَاحُ، الْمِيل إِلَى الْإِثْم، وَقيل: هُوَ الْإِثْم عَامَّة، والجُناحُ، مَا تحمل من الْهم والأذى، أَنْشد ابْن الْأَعرَابِيّ:

ولاقَيْتُ من جُمْلٍ وأَسْبابِ حُبِّها *** جُناحَ الَّذِي لاقَيتُ من تِرْبها قبْلُ[3]

وفي هذا اللّفظ: الجيمُ والنُّونُ والحاءُ تَدُلُّ اشتقاقاتُها على المَيْلِ[4]، ومنه قولهم: جنحَ فلانٌ لكذا؛ إذا مالَ إليه، ومِنْهُ قولُ الله تعالى: ﴿*وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61]؛ أيْ: "إنْ مالُوا إلى مُسالَمَتِكَ ومُتارَكَتِكَ الحربَ... فمِلْ إليها، وابذُلْ لَهُم ما مالوا إليه مِنْ ذلكَ[5]" ومِن هذا البابِ: الجُنَاحُ؛ وهو الإثمُ، سُمِّيَ بذلك؛ لمَيْلِهِ عن طريق الحقِّ[6].

3) ﴿تَقْصُرُواْ﴾: من القصر، وقَصَر الصّلاة: إذا ترك ركعتين من أربع، قال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، قيل: يعني القصر من أركانها عند الحرب كيف أمكن، وقيل: هو القصر من أربع إلى ركعتين[7]، والقافُ والصَّادُ والرَّاءُ تدورُ تصاريفُها على معنَيَيْنِ؛ أحدهما: أَلَّا يبلُغَ الشَّيءُ مَداهُ ونهايتَهُ، والآخرُ: الحَبْسُ[8]، ومِنَ الأوَّلِ قولُهم: قَصُرَ عَنِ الشّيء؛ إذا نَقَصَ مِنْهُ[9]، وَالمرادُ بقَصْرِ الصَّلاةِ: جَعْلُهَا قصيرةً؛ تَرْخِيصًا[10]، وذلكَ بجَعْلِ الصّلاةِ الرُّباعيَّةِ ركعتَيْنِ.

4) ﴿خِفْتُمْ﴾: خاف الرّجل يخاف خوفا وخيفة ومخافة، والإخافة: التّخويف. يقال: وجعٌ مخيفٌ، أي يُخيفُ من رآه، وطريقٌ مخُوفٌ، لأنّه لا يخيف وإنّما يخيف فيه قاطع

(1) الرَّاغب، المفردات: (ضرب)، والزَّبيديّ، تاج العروس: (ضرب).
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة: 3/398.
(3) ابن سيده، المحكم: 3/88.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جنح)، وابن سيده، المحكم: (جنح).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 14/40.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جنح).
(7) نشوان الحِميري، شمس العلوم: (قصر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قصر).
(9) الهرويّ، الغريبين: (قصر).
(10) الرَّاغب، المفردات: (قصر).

الطّريق[1]، والخاءُ والواوُ والفاءُ، تَدُلُّ اشتقاقاتُها على الذُّعْرِ والفَزَعِ[2]، والخَوْفُ: ضدُّ الأَمنِ[3]، وحقيقتُهُ: أنَّهُ غَمٌّ يَلحقُ العبدَ مِنْ توقُّعِهِ المكروهَ[4]، فهو خاصٌّ بالزَّمنِ المُسْتَقْبَلِ[5].

5) ﴿يَفْتِنَكُمُ﴾: من فتن، يقال: "فتنتُ الرّجل أفتنه فتنا، وأفتنته إفتانا. واختلف أهل اللغة في فتنت وأفتنت فقال قوم: لا يقال إلا فتنته فهو مفتون وهي اللّغة الكثيرة، وقال آخرون: أفتنتُهُ فهو مُفتنٌ[6]، والفاءُ والتَّاءُ والنّونُ تدورُ تصريفاتُها على إذابة مادَّةِ باطنِ الشَّيءِ، وتحويلِها بإدخالها نارًا حارَّةً، ومِنْهُ إذابةُ الذَّهبِ والفضَّةِ، ومِنْهُ: تحويلٌ معنويٌّ؛ كالافتنانِ بالنِّساء، وذلك بِرِقَّةِ القلوبِ نَحوهنَّ، حتَّى يقعَ المرءُ في المحظورِ[7].ومِنَ البابِ تسميةُ الفَضِيحَةِ: فِتنةً، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾[8] [المائدة: 41]؛ لتَحوُّلِ حالِهِ من السَّتْرِ والسَّلامَةِ إلى الكَشْفِ والشَّرِّ، ومِنَ التَّحويلِ قولُ الله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، أيْ: يَنْقَضُّوا عليكم حالَ انشغالكم بالصَّلاةِ، فتَتَحوَّلَ حالُكُمْ من متأهِّبينَ إلى مأخوذينَ.

6) ﴿عَدُوًّا﴾: "العدوّ: ضدّ الوليّ، والجمع الأعداء، وهو وصف، ولكنّه ضارع الاسم. يقال: عدوّ بين العداوة والمعاداة، والأنثى عدوة، قال ابن السّكّيت: فعول إذا كان في تأويل فاعل، كان مؤنّثه بغير هاء، نحو رجل صبور، وامرأة صبور، إلّا حرفا واحدا جاء نادرا، قالوا هذه عدوة اللّه"[9]. والعَداوَةُ: المُباعدَةُ والخُصُومَةُ[10]، وهو المُخاصِمُ المُباعِدُ، وقد يُتوسَّعُ في معناه فيُطلَقُ على كلِّ مَنْ سرّه مسَاءةُ شخصٍ، أو غَمَّهُ فَرَحُهُ[11]، وهذا يكونُ في الغالبِ لِلْمُخاصِمِ.والعَدُوُّ: اسمٌ يقعُ على الواحد والمثنَّى والجمع، مؤنَّثًا كان ذلك أو مُذَكَّرًا[12].

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (خوف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خوف).
(3) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (خوف).
(4) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 428.
(5) الشّنقيطيّ، العذبُ النَّمير: 1/284.
(6) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (فتن).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (فتن).
(8) الزَّبيديّ، تاج العروس: (فتن).
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عدو).
(10) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (عدو).
(11) البهوتّي، الرَّوض المُرْبِع، ص: 723.
(12) الخليل، العين: (عدو).

7) ﴿مُّبِينًا﴾: بان الشّيء يبين بيانا، اتّضح فهو (بيّن)، وكذا أبان الشّيء، فهو مُبين، وأبنته أنا، أي أوضحته، واستبان الشّيء ظهر[1]، والباءُ والياءُ والنُّونُ تَدُلُّ تصاريفُها على بُعْدِ شَيْءٍ وانكشافِه[2]، ومِنَ الانكشافِ قولُهم: بانَ الشَّيءُ؛ إذا اتَّضَحَ[3]، وتبيَّنَ؛ إذا ظَهَرَ[4]، والعَدُوُّ المُبينُ: العَدُوُّ البَيِّنُ العداوةِ وظاهرُها[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

قصر الصّلاة في سفر الخوف، تحسّبا لإطباق العدوّ على المؤمنين

يقول السّياق إذا سافرتُمْ - يا أهلَ الإيمانِ - في الأرض؛ فلَيْسَ عَلَيْكُم حَرَجٌ ولا إثمٌ في تخفيفِ الصَّلاةِ؛ بجعل الرُّباعيَّةِ رَكْعَتَين، إنْ خِفتُم أن يَنْقَضَّ عليكم الكفّارُ، ويعتدوا عليكم حالَ انشغالِكم بالصَّلاة بالقَتْل والأَسْر؛ فإنَّ الكافرينَ مجاهرُونَ لكم بالعداوةِ، فوجبَ عليكم الحذَرُ منهم[6]، والتّأهّب" فى وجه عدوّ يتربص بهم غفلة، أو يترقب فيهم خللا، ليضرب ضربته، وليبلغ مأربه! والقصر من الصلاة هنا غير القصر فى الصلاة الذي أباحه اللّه فى السّفر عامة، سواء أكان للسّعى فى الرّزق، أو للجهاد فى سبيل اللّه"[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلَالَةُ حَرْفِ الجَرِّ ﴿مِنَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾:

تَنَوُّعُ الدّلالاتِ بِتَنَوُّعِ مَعَانِي الحُروفِ

﴿مِنَ﴾ في قولِ اللّه سبحانه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ تَحتمِلُ وَجْهَيْنِ[8]: أَوَّلُهما: أَنْ تَكُونَ زائدةً للتَّأكيد، فيكون

(1) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (بين).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بين).
(3) الجوهريّ، الصحاح: (بين).
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: (بين).
(5) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 3/283.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 9/123، والواحديّ، الوجيز، ص: 285، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/393، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 94.
(7) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 3/882.
(8) المنتجب الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 2/335، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/225، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 3/283.

﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مفعولًا به للفعل ﴿تَقْصُرُواْ﴾. والآخرُ: أنْ تكونَ للتَّبعيض، والمفعولُ به حينئذٍ محذوفٌ، تقديرُه: أنْ تقصرُوا شيئًا مِنَ الصَّلاةِ. وكلٌّ مِنَ الوجهينِ فيه خروجٌ عَنِ الأصلِ؛ فأمَّا الأوَّلُ؛ فبادِّعاء الزِّيادَةِ، والأصلُ خلافُها، وأمَّا الآخرُ؛ فللُزومِ تقديرِ محذوفٍ، والأصلُ: عدمُ الحذفِ. والأوَّلُ أَبْلَغُ؛ لأنَّ زيادَةَ الحرفِ قائمٌ مقامَ تَكرار الجملة مرَّتين أو ثلاثًا، وهو تأكيدٌ حسَنٌ، مناسبٌ لنفي الجُناحِ، في قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾؛ فإنَّه واردٌ لدَفعِ ما قد يَخطرُ بِبَالِهِم، أنَّ عليهم نُقصانًا في قصرِ الصَّلاةِ، فنفى الجُناحَ والحرجَ عنهم؛ لتَطيبَ أَنْفُسُهُم بالقصرِ، ويَطمئِنُّوا إليه[1].

دَلَالَةُ (الْ) فِي ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾، فِي قوله: ﴿مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾:

مِـنْ أَسْبَابِ العَهْدِ العِلْمِيِّ لِأَلْفَاظِ البَيَانُ النَّبَوِيُّ لَهَا

اللَّامُ في ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ لِلْعَهْدِ العلميِّ؛ وهي الصَّلاةُ الرُّباعيَّةُ: الظُّهرُ والعَصْرُ والعشَاءُ، وقد عُلِمَ عَهْدُهَا بِسُنَّتِه ﷺ، وعليه جرَى عملُ المسلمينَ قاطبةً، أنَّه لا قَصرَ في السَّفَرِ إلَّا لِلصَّلوات الرُّباعيَّةِ دونَ غيرِهَا.

سَبَبُ فَصْلِ ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

مِـنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ قَرْنُ الأَحْكَامِ بِعِلَلِهَا

فُصِلَ قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لوقوعه استئنافًا بيانيًّا؛ فإنَّ قولَه سبحانه: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، يَبعَثُ في النَّفسِ سؤالًا؛ وهو: ما علَّةُ ذكرِ الكافرينَ في مقام الصَّلاةِ؟ أو أَنَّ تقديرَ السُّؤال: هل بلغَ مِن غَدْرِهم مباغَتَتُنَا في الصَّلاةِ؟ فجاءَ الجوابُ: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، وقد روى التّرمذيّ عن أبي هريرة: "أنّ رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعُسفان، فقال المشركون: إنّ لهولاء صلاةً، هي أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم، وهي العصر،

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/558.

فأجمعوا أمركم، فميلوا عليهم مَيلة واحدة، وإنّ جبريل أتى النّبيّ ﷺ، فأمره أن يقسِم أصحابه شطرين فيُصلى بهم، وتقوم طائفة أخرى وراءهم، وليأخذوا حِذرهم وأسلحتهم، ثم يأتي الآخرون ويُصلّون معه ركعة واحدة، ثم يأخذ هؤلاء حِذرهم وأسلحتهم، فتكون لهم ركعة ركعة ولرسول الله ﷺ ركعتان"[1]، وهذا التّربّص بالمسلمين، وانتظار غفلتهم للانقضاض عليهم، هو سبب تشريع هذه الصّلاة.

الفَرْقُ بَيْنَ تَعْلِيقِ الشَّرْطِ بِـ (إِذَا) وَتَعْلِيقِهِ بِـ (إِنْ):

دِقَّــةُ اخْـتِـيَـارِ أَدَواتِ الـشَّـرْطِ بِـمَـا يُـنـاسِـبُ سِيَاقاتِها

جَاءَ التَّعْبِيرُ في الشَّرط بـ (إذا) في المَوْضِعِ الأوَّلِ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وفي الثَّاني بـ (إن) في قوله سبحانه: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ لِكَوْنِ (إذَا) مَوْضُوعةً في الأصلِ لِلْجَزْمِ بوُقُوعِ مَدْخُولِها، و(إنْ) لعدَمِ القَطْعِ في وقوعِ ذلك[2]؛ وهو في غاية التَّناسُبِ في الآية؛ لأنَّه لا يَكادُ يَخْلُو أَهْلُ الإسْلامِ مِن سَفَرٍ مُسافرٍ منهم، بخلاف خَوفهم من فتنةِ الكافرين لَهُم؛ فإنَّه ليس أمرًا محقَّقًا في كلِّ سفرٍ يُسافِرونَهُ، فجاء التَّعبيرُ فيه بـ (إنْ).

سِرُّ الإِظْهَارِ فِي مَوْضِعِ الإِضْمَارِ، فِي قولِه: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾:

الِاخْـتِـرَاسِ مِـنَ الكُفَّارِ المُحَارِبِينَ، مِـــن حِـكـمـةِ الشَّرعِ في الحذرِ من الخطرِ المبينِ

في قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ إظهارٌ في موضع الإضمار[3]؛ وكان مقتضى الظَّاهر: (إنْ خِفتم أن يَفْتِنُكُم الّذين كفَرُوا، إنَّهم كانُوا لَكُم عَدُوًّا مُبِينا)، والنُّكْتَةُ في ذلك زيادَةُ التَّنفيرِ؛ لِلِاحْتِرَاسِ منهم، ومِن بَغْيِهم وعُدوانِهم على أهلِ الإسْلَامِ.

(1) سنن الترمذيّ: 5/243، الحديث رقم: (3035)، وصحّحه الألبانّي في صحيح سنن التّرمذي: 3/42، وسنن أبي داود: 2/15، الحديث رقم: (1242)، وأخرجه أحمد في مسنده: 6/275، والحاكم في المستدرك: 1/336 - 337، وابن رجب في العلل: 1/301.

(2) السُّبكّي، عروس الأفراح: 1/323.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/379.

نُكْتَةُ العُدُولِ عَنْ (أَعْدَاء) إِلَى ﴿عَدُوًّا﴾، في قوله: ﴿كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾:

جَاءَ التَّعبيرُ عَنِ الكافرين بِلَفْظِ الجَمْعِ في موضعَين؛ في قوله تعالى: ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ولمَّا جاءَ وصفُهم بالعداوةِ؛ قَال: ﴿عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ دون (أعداء)؛ وذلك لأنَّ لفظَ العَدُوِّ يُطلق على الواحد والمثنَّى والجَمْع[1]. وجيءَ بها على هذه الصِّيغةِ للإشارةِ إلى أنَّهم لو تمكَّنُوا منهُم؛ لانقضُّوا عليهمُ انْقِضاضًا واحدًا، وأنَّ الأعداءَ على تفرُّقِهم فيما بينَهُمْ؛ فإنَّهم يكونونَ يدًا واحدةً على المسلِمينَ، وهذا يَقْتَضِي شدَّةَ الحذَرِ والاحْتِراسِ منهم.

تَـداعِـي أَهْـلِ الـكُـفْـرِ عَـلَى المُسْلِمِينَ، واقع مألوف في تاريخ الإسلام

المؤكِّداتُ في قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ وَنُكْتَتُها:

جاءَتِ الجملةُ في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، مؤكَّدةً بمؤكِّداتٍ خمسة[2]: أحدُها: ﴿إِنَّ﴾ الدَّالَّةُ على تقويةِ وَصْفِ الكَافِرين بالكُفْرِ، بحيثُ جعلَ الكفرَ مِنْ شأنهم، ومَنْ كانَ كذلك؛ لا يُؤْمَنُ جانبُهُ. ثانيها: التَّعبيرُ بِـ (كان) المفيدَةِ الدَّاومَ والاستمرارَ، وأنَّ عداوةَ الكُفَّارِ لأهل الإيمانِ قديمةٌ.ثالثُها: وصفُ الكافرين بالعداوةِ، ومن شَأْنِ العدُوِّ إرادَةُ الشَّرِّ بعدُوِّهِ، ويترقَّبُ مواضعَ غفلَتِهِ ليقضِيَ عليه، ومَن كان هكذا لا يُنتظَرُ منه رحمةٌ أو حِلْمٌ، رابعُها: وصفُ عداوتهم بالظُّهور والسُّفور وعدم الخفاءِ، لِيَحْتَرِسَ المسلمون منهم أشدَّ الاحتراسِ؛ فلا يأمنونَ غَدرَهم. وخامسُها: جاءَ التَّعبيرُ عمَّا تقدَّمَ بالجملةِ الاسميّةِ، المفيدةِ الثَّباتَ والاستمرارَ بقرينةِ التَّحذيرِ.

شِـدَّةُ عَـداوَةِ أَهْلِ الكُفْرِ لِأَهْلِ الإِسْـلامِ، أمرٌ معهود في كلّ العهود

دَلَالَةُ حَرْفِ الجَرِّ (اللَّامِ) في قولِهِ: ﴿لَكُمْ﴾:

في التَّعبير باللَّام بدلًا مِن (على) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ

العَاقِبَةُ الحَسَنَةُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ

(1) الخليل، العين: (عدو).

(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1826، وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 3/283.

﴿كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾؛ لِلْإِيمَاء إلى أنَّ عداوةَ الكُفَّار لأهلِ الإيمان لَمْ تُوجِبْ انتصارَهم عليهمُ انتصارًا مُستمرًّا، فالتَّعبيرُ باللَّام جاء إيماءً إلى أنَّ الكفرَةَ مَغْلُوبونَ[1]، والتّذييل بآخر الآية، تعليلٌ بأنّ استمرارَ الاشتغالِ بالصّلاة مَظِنةٌ لاقتدار العدوّ اللّدود على إيقاع الفتنةِ، بالمهاجمة المباغتة بالإجهاز على المؤمنين في صلاتهم، وهو تعليلٌ لذلك، باعتبار تعلُّلِه بما ذُكر، أو لما يُفهم من الكلام، من كون فتنتِهم متوقَّعةً، فإنّ كمالَ عداوتِهم للمؤمنين من موجبات التعرُّض لهم بسوء[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الخَوْف والخَشْيَة:

الفَرْقُ بينَهما من وجهين: أَوَّلُهُمَا: أَنَّ الخوفَ أعمُّ من الخشيةِ؛ وذلك لأنَّ الخشيةَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بمَعْرِفةٍ وعِلم، بخلاف الخوفِ؛ فَلَا يُشترطُ فيه ذلكَ[3]. والآخَرُ: أنَّ الخشيةَ تكون من عِظَمِ المَخْشِيِّ وإنْ كان الخَاشِي قويًّا، بخلاف الخوف؛ فَإِنَّهُ يكونُ مِنْ ضَعْفِ الخائفِ وإن كان المَخُوفُ أمرًا يَسِيرًا، ولِذا تَرِدُ الخشيةُ غالبًا في حقِّ اللّه تعالى[4]، كما قال سبحانه: ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرّعد: 21]، وذكَرَ المَاوَرْدِيُّ فرقًا آخرَ بينَهما؛ وهو أنَّ الخوفَ فِيمَا ظَهَرَتْ أَسْبَابُهُ، والخشيةَ فيمَا لَم تَظْهَرْ أسبابُه[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/379.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/226.
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 283، وابن القيّم، مدارج السّالكين: 1/508.
(4) السُّيوطيّ، معترك الأقران: 3/485.
(5) الماوَرديّ، النُّكت والعيون: 3/393.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»